

النص الحجاجي دراسة تحليلية في الآليات والضوابط

Argumentative Text: An Analytical Study of Mechanisms and Controls

شيخ المحمد

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - ، الجزائر ، mchikh45@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2025/03/04 تاريخ القبول: 2025/05/13 تاريخ النشر: 2025/06/02

ملخص:

يعتبر النص الحجاجي من القضايا التي شغلت الفكر العربي قديماً وحديثاً، وهذا لضرورته في صنع الحجة التي يؤثر فيها على المتلقي وإقناعه من خلال أساليب وأدوات عقلية ولغوية دقيقة، فمسألة النص الحجاج في فكر طه تعتبر نموذجاً متكاملًا يجمع بين المنطق والتداولية والبعد الأخلاقي، وهذا يجعل طرحه متميزاً عن المقاربات الغربية التي تركز على الجانب الإقناعي المجرد، الأمر الذي يجعل من تصور طه مقارنة تجديدية قادرة على إعادة تشكيل الخطاب الحجاجي في الفكر العربي المعاصر، كما يعتبر طه من الذين ساهموا في تطوير مفهوم الحجاج وآلياته، الذي قدّم رؤية متميزة للحجاج تقوم على التكامل بين البعد المنطقي والبعد الأخلاقي، انطلاقاً من مرجعية إسلامية وتراثية و تجديدية في الوقت نفسه، بالنسبة له الحجاج لا يقتصر على كونه مجرد أداة برهانية لإثبات القضايا الفلسفية، بل هو نشاط فكري وحواري يعكس أبعاداً أخلاقية ومعرفية عميقة، النص الحجاجي ليس مجرد أداة بلاغية الغرض منها الإقناع، بل هو بنية معرفية وفكرية معقدة تتطلب فهماً دقيقاً لآلياته وضوابطه.

كلمات مفتاحية: النص، الحجاج، المنطق، الأخلاق، التراث

Abstract:

The issue of the argumentative text in Taha thought Is an integrated model That combines logic, délibération and the moral dimension, and This makes his proposal distinct from Western approaches that focus on the abstract persuasive aspect, which makes Taha's conceptualisation an innovative approach capable of reshaping the argumentative discourse in contemporary Arab thought ; Taha is considered one of those who contributed to the development of the concept of argumentation and its mechanisms, who presented a distinct vision of

argumentation based on the integration of the logical dimension and the moral dimension, based on an Islamic, heritage and renewal reference at the same time. For him, argumentation is not limited to being just a proof Tools to prouv  philosophical issues, but Is an intellectual and dialogue activity that reflects deep ethical and cognitive dimensions, and the argumentative text is not just a rhetorical tool intended to persuade, but a complex cognitive and intellectual structure that requires careful understanding of its mechanisms and controls.

Keywords: Text ; Argumentation ; Logic ; Ethics ; H ritage

مقدمة:

- تحديد الهدف من البحث:

- يسعى هذا المقال إلى تحقيق بعض الأهداف الأساسية التي تساهم في فهم أعمق لمفهوم الحجاج في الفكر العربي، من خلال التركيز على التصور الذي قدّمه المفكر طه عبد الرحمن ، ولعلّ أبرز هذه الأهداف هي
- تحديد مفهوم الحجاج كما ورد في الفكر العربي ، ومقارنته بالمقاربات الغربية الحديثة.
 - البحث في تصور طه عبد الرحمن عن نظرية الحجاج، مع تركيز البحث بصورة أخص على فكرته حول نظريته التكاملية التي تجمع بين المنطق والتداولية والبعد الأخلاقي.
 - البحث في الاستراتيجية الحجاجية التي يعتمد عليها طه عبد الرحمن في كتاباته، وكيف كان لها دور فعال في بنية الخطاب الحجاجي العربي.
 - دور التصور طهاوي في الدراسات الحجاجية ،وهذا من خلال تقديم قراءة نقدية لنظرية طه عبد الرحمن، وفتح آفاق بحثية جديدة في مجال الحجاج والبلاغة والتداولية.

تحديد فرضية البحث:

إن الفرضية الأساسية التي يدور حولها البحث تصب حول طرح مسألة الحجاج في فكر طه عبد الرحمن كنموذجاً متكاملًا يجمع بين المنطق والتداولية والبعد الأخلاقي، وهذا يجعل طرحه متميزاً عن المقاربات الغربية التي تركز على الجانب الإقناعي المجرد، الأمر الذي يجعل من التصور الطهوي مقارنةً تجديدية قادرة على إعادة تشكيل الخطاب الحجاجي في الفكر العربي المعاصر.

تحديد الإطار النظري للدراسة:

الإطار النظري يتكون من مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تتعلق بمفهوم الحجاج وآلياته وضوابطه عند طه عبد الرحمن ، حيث سيتم التطرق إلى:

- التصور الحجاجي في الفكر العربي.
- المقاربات الغربية للحجاج
- نظرية طه عبد الرحمن في الحجاج وهذا من خلال تحديد المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الحجاج عند طه عبد الرحمن، ومنها: التكامل بين العقل والتداول والأخلاق في الحجاج.

تحديد منهجية البحث:

المنهجية المستخدمة في هذا البحث ستكون منهجاً نوعياً قائماً على تحليل النصوص الفلسفية لطله عبد الرحمن ، مع استخدام بعض الدراسات السابقة حول الحجاج ، والمنهج الأنسب في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي والنقدي والمقارن .

تحديد الإشكالية

تتمحور إشكالية أساسية وإشكاليات فرعية، فأما الإشكالية الأساسية فتمثلت في :

- إلى أي مدى يسهم الطرح الحجاجي عند طه عبد الرحمن في تجديد نظرية الحجاج في الفكر العربي، وما هو الدور الذي يلعبه البعد الأخلاقي في تشكيل استراتيجياته الحجاجية؟

أما الإشكاليات الفرعية فكانت كما يلي :

- ما المقصود بالنص الحجاجي وما هي أهم خصائصه في الفكر العربي التقليدي والحديث؟
- كيف عالج طه عبد الرحمن مفهوم الحجاج، وما الإضافة التي قدّمها مقارنة بالمقاربات الغربية؟
- ما دور الجانب الأخلاقي في بناء الحجاج عند طه عبد الرحمن، وما مدى تأثيره على فعالية الخطاب الحجاجي؟
- كيف تتجلى آليات الحجاج في أعمال طه عبد الرحمن، وما علاقتها بالتداولية والمنطق؟
- ما حدود تطبيق النموذج الحجاجي الطهوي في الخطابات العربية المعاصرة، وما إمكانية تطويره؟

يعتبر الحجاج من أبرز القضايا التي شغلت الفكر العربي قديما وحديثا، كان ارتباطه في البداية بالخطابة والمناظرة، ليتطور فيما بعد ليصبح دوره لا غنى عنه في غالبية الدراسات اللغوية والمنطقية الحديثة والمعاصرة .

شكل النص الحجاجي أحد أبرز أنواع الخطاب في الفكر العربي، وهذا لما يلعبه كأساس ضروري في صنع الحجة التي يؤثر فيها على المتلقي وإقناعه من خلال أساليب وأدوات عقلية ولغوية دقيقة، حيث كان لهذا الخطاب علاقة بالجدل والمناظرة والخطابة، وهذا

أمر متأصلاً في الثقافة العربية من خلال الموروث البلاغي والبياني، كما يظهر جلياً في مختلف العلوم والمعارف، بداية من علم الكلام والمناظرات الفقهية، ثم البلاغة العربية، ووصولاً إلى الفلسفة والمنطق.

مفهوم الحجاج

تطوّر مفهوم الحجاج من خلال الفلسفة اليونانية، ليبرز بشكل أوضح مع أرسطو في كتابه الخطابة، وجعل منه وسيلة للبرهنة تقوم على الحجج و المنطق، ثم جاء الفيلسوف "بيرلمان" في القرن العشرين ليقوم بإعادة إحياء نظرية الحجاج بطريقة جديدة، حيث رأى أن الحجاج لا يقتصر على المنطق الصوري فقط ولكن يعتمد كذلك على آليات خطابية أخرى موجهة إلى المتلقي .

لعل ابرز ما يمكن البدء به هو تبيان أمر مهم يرتبط بمفهوم الحجاج ، حيث نجده يقترن في كل مرة بمصطلحين اثنين "الخطاب " و "النص" ، وهما مصطلحان تتباين الفروق بينهما وفق اختلاف الاتجاهات الفكرية والمدارس .

تتفق غالبية المعاجم اللغوية في تعريفها للحجاج على ما ما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور ،الذي يقول: " حاجته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها [...] ،والحجة: البرهان وقيل: الحجة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري : الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ،وهو رجل محجاج أي جدل ، وحجه يحجه حجا : غلبه على حجته ، وفي الحديث : فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة"¹.

أما في اللغة الفرنسية فيقابلها لفظ " Argumentation " ،وهو اللفظ الذي ورد في قاموس " Petit Robert " وتدل على القيام باستعمال الحجج ،ومجموعة حجج تستهدف تحقيق نتيجة واحدة .

أما في اللغة الإنجليزية فلفظ "Argue" يعني به وجود اختلاف بين رأيين ومحاولة كل طرف إقناع الآخر بوجهة نظره، وذلك بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons" التي تكون حجة "Argument" تأيد أو تعارض فكرة أو تصور .

ليست الدلالة اللغوية للحجاج في الدراسات الفلسفية الحديثة بعيدة عن الدلالة الاصطلاحية فهي تتفق فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية، ووسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم؛ لذلك يتخذ الحجاج مفهوميين :

- طريقة التحليل والاستدلال :بقصد تقديم مبررات مقبولة في الاعتقاد والسلوك.

- عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير على الآخرين.

وننتقل إلى تبيان مفهومي "النص" و "الخطاب" اللذان يرتبطان في الاستعمال بجانب

مفهوم الحجاج وفي غالب الأحيان يقع لبس في التفريق بينهما .

فالنص في الدراسات الحديثة، ينطلق من المفهوم الغربي المأخوذ كما هو معلوم من

اللاتينية (Textus) وتعني النسيج، أي أنه كما يعرفه " فاو ل ر " بأنه بنية في أصلها متوالية

من الجمل المترابطة فيما بينها تشكل استمرارا ونسيجا على صعيد تلك المتوالية ².

يضيف على هذا "جان ميشال آدام" في كتابه " مبادئ في اللسانيات النصية"، بأن النص:

هو وحدة التبليغ والتبادل ، ويكتسب النص انسجامه وحصافته من خلال هذا التبادل

والتفاعل ³.

أما مفهوم الخطاب فهو يخضع للتعدد بناء على تعدد مدارس واتجاهات الدراسات

اللسانية الحديثة، وتضمن بهذا كل خصائص هذه الاتجاهات حتى استشكل تعريفه أو

الوقوف على ميزات خاصة به لاتجمعه بالنص ، ولا تتيح فرصة تميزه عن لسانيات النص ،

والجملة وتحليل الخطاب ،ولسانيات الخطاب ،وكذلك " Linguistique de discours "

،لكن هذا التشتت سيمنح فرصة التعرف على شتى هذه الاتجاهات بتعدد التعاريف،ومن

الفلاسفة الذين استطاعوا أن يعطوا الخطاب المفهوم سياقاً دلالياً اصطلاحياً مميزاً عبر التنظير والاستعمال المكثف في العديد من الدراسات هو ميشال فوكو " حيث يرى أن الخطاب هو " شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه " ⁴.

لقد كان للمفكرين العرب دور كبير في تطوير أساليب الحجاج، وهذا من خلال اعتمادهم على النصوص الدينية والخطابة السياسية والكتابات الفلسفية، الأمر الذي أدى إلى خلق منهجيات متنوعة في بناء الحجة ودحض الرأي الآخر، ومع تطور الدرس اللغوي الحديث، أصبح النص الحجاجي في دائرة اهتمام الكثير من الباحثين، حيث أصبح يُدرس في ضوء مناهج تحليل الخطاب واللسانيات التداولية، مما أتاح فهماً أعمق لآلياته وطرائقه في التأثير والإقناع.

ويعتبر المفكر طه عبد الرحمن من أبرز المفكرين الذين ساهموا في تطوير مفهوم الحجاج وآلياته، الذي قدّم رؤية متميزة للحجاج تقوم على التكامل بين البعد المنطقي والبعد الأخلاقي، انطلاقاً من مرجعية إسلامية وتراثية و تجديدية في الوقت نفسه. يعد الحجاج الفلسفي عند طه عبد الرحمن جزءاً من مشروعه الفكري الذي يسعى إلى تأصيل الفلسفة الإسلامية المعاصرة من خلال الاستفادة من المنجز الفلسفي الغربي، لكن دون الانسلاخ عن الخصوصية الإسلامية، يرى طه عبد الرحمن أن الحجاج لا يقتصر على كونه مجرد أداة برهانية لإثبات القضايا الفلسفية، بل هو نشاط فكري وحواري يعكس أبعاداً أخلاقية ومعرفية عميقة، الحجاج في أبسط تعريفاته، هو فن الإقناع وتنظيم الخطاب بما يؤثر في المتلقي ويقنعه بوجهة نظر معينة، إلا أن طه عبد الرحمن يتجاوز هذا التعريف التقليدي ليضع الحجاج في إطار فلسفي وأخلاقي أوسع، في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"،

يرى أن الحجاج ليس مجرد أداة للإقناع، بل هو عملية تفكيرية وتخابية تهدف إلى تحقيق الحقيقة في سياق تداولي يحترم القيم الأخلاقية والروحية للغة.

قدم طه عبد الرحمن تصويره في إعادة قراءة التراث الحجاجي العربي والإسلامي من خلال المناهج التداولية والمنطقية، وأضاف إليه البعد الأخلاقي كخاصية أساسية في بناء الحجة ، فطه عبد الرحمن يحمل رؤية استثنائية للحجاج، ووضع أسس فلسفية والمنطقية، نابعة من عقلية تزوج بين التراث العربي الإسلامي والنظريات المعاصرة ، وسنقوم بالبحث والتحليل في تصور طه عبد الرحمن للنص الحجاجي ،وتبيان الجديد الذي قدمه للفكر العربي والإسلامي.

من ميزة منهج طه عبد الرحمن اعتماده البحث في التراث الإسلامي القديم واستظهار مفاهيم تحمل أصول عربية و إسلامية هذا من جهة ومن جهة أخرى محاولة غريبة وضبط المفاهيم القادمة من مجال تداولي خارجي ضبطا صارما ودقيقا ،وفي هذا يقول:"أخذت على عاتقي أن أقترح مرحلة المصطلح على المستوى الفلسفي والمنطقي وألزمت نفسي على أن أعمل بأحدث الضوابط والشروط النظرية والمنهجية في وضع المصطلح العلمي، وأن أستثمر كل إمكانات اللغة العربية، وأن أراعي خصوصية التراث الإسلامي..".

يُعد طه عبد الرحمن واحداً من أبرز الفلاسفة العرب المعاصرين الذين ساهموا في إعادة صياغة المفاهيم الفلسفية واللغوية انطلاقاً من التراث العربي الإسلامي، مع نقد معمق للنماذج الغربية. يتجلى ذلك بوضوح في تعامله مع مفهوم "الحجاج"، وهو المفهوم الذي يشكل محوراً أساسياً في فلسفته، حيث يسعى إلى إعادة بنائه بما يتماشى مع الخصوصية الثقافية واللغوية للمجال التداولي العربي الإسلامي ،هذا المشروع لا يقتصر على التحليل النظري فحسب، بل يمتد إلى نقد النماذج الحجاجية الغربية، التي يراها طه عبد الرحمن تعاني من قصور منهجي وفلسفي عند تطبيقها خارج سياقاتها الثقافية الأصلية،بالنسبة له

الحجاج أهم أداة لغوية يستخدمها الملقي للإقناع المتلقي، على اعتبار أنه كل منطوق به موجه إلى المتلقي لإفهامه دعوى مخصوصة من حقه الرد عليها، وتعتبر اللغة الطبيعية هي اللغة التي يستعملها الحجاج، جعل هذا الأخير من وظائف اللغة الأربع، بالإضافة لكونه يعتبر وظيفة وصفية، ووظيفة إشارتية، ووظيفة تعبيرية. فالخطيب يستخدم اللغة لغاية الحجاج بالبراهين والتفسيرات.

وعليه يؤسس طه عبد الرحمن لمفهوم الحجاج باعتباره استراتيجية إقناعية، وعملية خطابية يهدف من خلالها إلى تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك، وقد وضح هذا بإمعان وتدقيق في كتابه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام، من أجل الكشف عن أهم مفاهيم الحجاج بوصفه وسيلة لغوية إقناعية.

يعطي طه عبد الرحمن تعاريفات مختلفة لمفهوم الحجاج، حيث نجده يصفه بأنه فعالية استدلالية خطابية، وفي مواضع يعتبره آلية إقناعية، ومرة أخرى يجعل منه فعالية تداولية جدلية، فيقول: " أن الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"⁵، وهنا يريد أن يبين لنا أن الخطاب لا يحدده فقط تلك العلاقة الخطابية بل يحتاج كذلك للعلاقة الاستدلالية فيضيف قائلاً: " لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة (المدعي) ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة (المعترض) " ⁶.

1- تأسيس نموذج حجاجي إسلامي

يسعى طه عبد الرحمن لإزالة بعض اللبس حول بعض المفاهيم مثل: الكلام والخطاب والحجاج، فهو يرى أنها أسماء مختلفة لكن تحمل نفس المعنى ويسمها "الحقيقة النطقية الإنسانية"، يرجع في حكمه هذا إلى ما جاء في كلام عبد القاهر الجرجاني الذي

يقول : "الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحيّ متكلمًا" ⁷ ، يرى طه عبد الرحمن أن الأصل في الحجاج هو العلاقة المجازية، وعليه فالعلاقة المجازية هي التي تحدّد ماهية الحجاج وليس العلاقة الاستدلالية وحدها. وحتى وإن وجدت علاقة استدلالية، فمن الضروري إرجاعها إلى العلاقة المجازية. فالباحث إذن، يقرن بين الحجاج وبين المجاز، ومسوغ ذلك، أننا نلفيه في موضع آخر، يجعل حدّ المجاز الحدّ نفسه الذي كان اصطنعه للحجاج قبل ذلك: "إذ حدّ المجاز أنه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها " ⁸.

تظهر أهمية مشروع طه عبد الرحمن الفكري في إعادة بناء مفهوم "الحجاج" كمحاولة لتجاوز التصورات التقليدية للمنطق الأرسطي والحجاج الغربي، ثم محاولة تأسيس نموذج حجاجي ينطلق من مجال تداولي إسلامي، وعليه توجب الوقوف على ما يلي :

1.1 من المنطق الصوري إلى المنطق الحياتي :

تعتمد الفلسفة الغربية في مجال الحجاج على المنطق الصوري الذي يهدف إلى البرهنة العقلية المجردة، حيث يُنظر إليه كأداة للوصول إلى الحقيقة عبر قواعد صارمة ومنهجية، لكن طه عبد الرحمن ينتقد هذا التصور لأنه يفصل العقل عن الواقع المعيشي وعن جانب القيم ، وهذا قد ظهر جليا في مؤلفاته خاصة : "فقه الفلسفة" و "روح الدين"، حيث نجده يقترح طه مفهوماً جديداً للحجاج يتجاوز التصور الكلاسيكي ، ليصبح أداة تواصلية وتفاعلية تربط بين العقل والروح ، وبين الفرد والمجتمع.

فطه عبد الرحمن يؤسس لهذا المفهوم على فكرة أن الحجاج ليس مجرد عملية برهانية، بل هو فعل أخلاقي ومعيشي هدفه تحقيق الاتزان والاعتدال في إطار القيم الروحية، ومن هنا يظهر جليا تمييزه بين "الحجاج العقلي" الذي يعتمد على البراهين المجردة،

و"الحجاج الوجداني" الذي يعتمد على الجانب الروحي والإنساني ، وهو تصور يرى في المنطق جزء من التجربة الإيمانية.

1.2 الأسس التراثية لإعادة البناء

في عملية إعادة البناء يعتمد طه عبد الرحمن على غنى التراث الإسلامي، وبالخصوص المعرف التي تتعلق بالبلاغة والمنطق، وهي علوم اهتم بها الفلاسفة المسلمين أمثال الجاحظ والفارابي وابن رشد. يعتمد البلاغيين في استعمالهم الحجاج ليس فقط على الإقناع العقلي، بل كذلك التأثير في القلب من خلال استعمال اللغة والصور البيانية ، ومن هنا يرى طه أن هذا النهج يتجاوز المنطق الأرسطي، حيث أن هذا الأخير يكون في غالب موجه لطبقة معينة، أما منهجه فهو موجه لكافة البشر ، ويعطي لنا طه مثال على ذلك ، فمفهوم "القياس" عند أرسطو، فمنهج طه يرى "التأويل الحجاجي" تصور يأخذ بعين الاعتبار الحالة الثقافية والدينية للمتلقي، وهو الأمر الذي نفتقده في القياس الأرسطي الذي يعتمد على الاستدلال المنطقي المجرد، في حين غاية الحجاج عند طه هو تهذيب النفس .

1.3 النقد الموجه للحجاج الغربي

قبل أن يقوم بعملية البناء لمنهجه الحجاجي ، قام بنقد للتصور الحجاجي في الفكر الغربي حيث اعتبره مجرد وسيلة لبسط السيطرة الفكرية والثقافية خالية من اي قيم روحية وأخلاقية، وتكلم عن هذا في كتابه "اللسان والميزان"، يشير إلى أن الحجاج الغربي من خلال اعتماده الكلي على الجانب الصور والعقلي متجاهلا كلية الجانب القيمي والإنساني، وهو الأمر الذي يكرس الهيمنة بعيدا عن الانسجام والنقاهم ،وهنا يعطينا طه البديل المنهجي في الحجاج و المتمثل فيما يطلق عليه اسم "الإشهاد"، أي جعل الحجة شاهدة على الحقيقة وهو ما يتلائم مع الجانب الإنساني والقيمي ،ونقده هذا النقد لا يمس الجانب النظري فقط بل يتعداه للجانب العملي ،حيث يؤكد طه أن المنهج الحجاجي الغربي استعمل في الهيمنة

الغربية التي تحمل تصور أحادي ذا مرجعية استعمارية كولونيالية تستغل وتستنزف الشعوب الأخرى، لنجد طه يطرح بديل عنها من خلال تجديد الحجاج يحمل تصور شمولي إنساني ينطلق من الهوية العربية و الإسلامية ..

2- تطبيقات الحجاج الفلسفي عند طه عبد الرحمن

يعتمد طه عبد الرحمن على منهجية "الحجاج الفلسفي التداولي"، حيث يتميز هذا الأخير بكونه فعالية استدلالية خطابية تسعى إثبات الرأي أو الإعتراض على رأي الآخر، مع الارتكاز على موضوعات البحث عن الحقيقة الفلسفية⁹، هذا المنهج لا يقتصر على التحليل المنطقي التقليدي، بل هو مزيج بينه وبين التشقيق اللغوي وكذا التجربة الصوفية، مما يجعله أداة فعالة لمعالجة قضايا المجتمع الإسلامي المعاصر، ومنا هنا تتجلى تطبيقات الحجاج الفلسفي عند طه عبد الرحمن على قضايا المجتمع الإسلامي من خلال ثلاثة نقاط أساسية :

- تجديد الفكر الإسلامي من خلال نقد الحداثة الغربية.

- إعادة تأسيس الأخلاق الإسلامية كبديل حضاري.

- مواجهة التحديات الاجتماعية المعاصرة مثل العولمة والعلمانية.

سعى طه عبد الرحمن إلى وضع تطبيقات كثيرة للحجاج الفلسفي في كتاباته، وقام

بتحليل بعض قضايا فكرية معاصرة بأسلوب حجاجي متميز. وأهم هذه التطبيقات:

2.1 تجديد الفكر الإسلامي

يرى طه عبد الرحمن في مشروعه الفلسفي أن الفكر الإسلامي بحاجة إلى تجديد حقيقي و جذري يتجاوز فيه التقليد الأعمى للحداثة الغربية. في كتابه "روح الحداثة"، وهذا في رأيه لا يتحقق إلا من خلال حجاج فلسفي متكامل يستند إلى التراث الإسلامي ويعاصر الحاضر يتفاعل، فيقدم رؤية حجاجية تهدف إلى تجاوز الجمود الفكري وإحياء روح الاجتهاد الفلسفي داخل الإطار الإسلامي¹⁰، ومن هنا قام بطرح نقدًا حجاجيًا للمفهوم الغربي للحداثة، معتبرًا

أنها قامت على أسس علمانية ومادية أدت إلى "انحسار الأخلاق" و"انسداد العقل"¹¹. فهو يعتمد هنا على الحجاج التداولي ليبين أن الحداثة الغربية ليست إلا نسق خاص بثقافة معينة وليس نموذجًا كونيًا، وعليه من غير العقلاني تعميمه وتطبيقه على المجتمع الإسلامي من دون احترام للخصوصية .

يسعى طه عبد الرحمن من خلال مشروعه الفكري إقامة تجديد حقيقي للفكر الإسلامي من خلال حجاج فلسفي متكامل أساسه التراث الإسلامي، بحيث يكون مسابير ومتفاعل مع تطورات العالم، وفي نقده للنص الحجاجي في الفلسفات الغربية، فقد عاب عليها انعدام الجانب الروحي والأخلاقي، وهذا ما نجده في الفلسفة الوضعية وما يدعو إليه الاتجاه العلماني، ومن خلال استراتيجياته الحجاجية، أبرز كيف أن هذه الفلسفات تعاني من إختلالات جوهرية ناتجة عن فصلها بين القيم والعقل¹².

مثال تطبيقي:

يضرب لنا طه عبد الرحمن أمثلة من التاريخ الإسلامي، فعل سبيل المثال لا الحصر أسلوب المناظرات الذي كان معتمد في عهد الخلافة العباسي، ليبرز أن الفكر الإسلامي يمتلك أدواته الخاصة للتجديد، كالمناظرة التي تجمع بين "المقابلة" و"المفاعلة"¹³. والغاية من هذا الاستدلال هو إقناع الجمهور بأن التجديد ممكن من داخل التراث.

يعترض طه عبد الرحمن على التصور الذي يقول بأن السبيل نحو التقدم المعرفي والحضاري هو من خلال العقلانية الغربية، موضحًا أن هذا الافتراض يؤدي إلى تناقض داخلي، حيث ينتج عنه تهميش الأخلاق والروحانية، وهي عناصر أساسية في الإنسانية¹⁴.

2.2 الدفاع عن الهوية الإسلامية

المسألة الثانية التي عمل على تطبيق الحجاج عليها هي الدفاع عن الهوية الإسلامية ضد التحديات الفكرية الحديثة، مثل العولمة والغزو الثقافي، حيث يرى أن الدفاع

عن الهوية لا ينبغي أن يكون مجرد موقف انفعالي، بل يجب أن يكون قائماً على حجاج متماسك وقادر على مواجهة الخطابات المضادة بطرق عقلانية وأخلاقية، وابتعاد المجتمع الإسلامي عن القيم الإسلامية كان سبب رئيسي في ما هو عليه من انهيار حضاري بأبعاده، حيث يرى طه عبد الرحمن أن أزمة المجتمع الإسلامي تكمن في "انقباض الأخلاق" نتيجة التأثير بالحدثة الغربية التي فصلت بين العقل والأخلاق¹⁵، وعليه توجب الانطلاق من الذات الإسلامية وخلق نظرية نابعة من ذاتنا، فنجد طه يقترح من خلال الحجاج الفلسفي إعادة تأسيس نظرية أخلاقية إسلامية تستند إلى "التوافق" مع الله عبر ثلاثة موثيق: الأمانة، الشهادة، والرسالة¹⁶.

مثال تطبيقي

ينطلق طه عبد الرحمن من الوقوف على التحديات الأخلاقية في المجتمع الإسلامي المعاصر كالفساد والانحلال الأخلاقي، ثم يعمم أن الحل يكمن في العودة إلى الأخلاق الائتمانية الإسلامية التي تربط الفرد بالله والمجتمع¹⁷. يعطي طه أمثلة عن صحابة رسول الله في بناء المجتمع المدني الإسلامي، ليثبت أن الأخلاق كانت محور التغيير الاجتماعي، مما يدعم دعوته لتجديد الفكر عبر الأخلاق¹⁸.

2.3 التأسيس لمنهج حوار جديد

يعمل طه عبد الرحمن اعتماداً على المنهج الحجاجي، للتأسيس لمنهج حوار فلسفي يشمل جميع الثقافات المتنوعة، بحيث يكون الحوار بناءً على أسس أخلاقية ومعرفية متينة، وليس مجرد مواجهة صدامية بين الحضارات¹⁹.

يعتمد المنهج الحجاجي لطله عبد الرحمن في مسألة الحوار على رؤية فلسفية تنظر إلى الحوار ليس مجرد أداة للتواصل، بل أفقاً معرفياً وأخلاقياً يعكس جوهر التفاعل الإنساني،

وهنا يقترح طه تصنيفاً ثلاثياً للسلوك التخاطبي يشمل: الحوار، المحاور، والتحاور، هذه المراتب الثلاث تتوافق مع مستويات نظرية في التحليل الخطابى، وهي على التوالي: (النظرية العرضية) التي تقدم الأفكار دون مواجهة مباشرة (النظرية الاعتراضية) التي تشمل النقد والرد، و (النظرية التعارضية) التي تسعى إلى التفاهم عبر التعددية، هذا التصنيف ليس مجرد تقسيم تقني، بل يعكس رؤية طه للحوار كعملية ديناميكية ترتقي بالإنسان من مجرد متكلم إلى فاعل أخلاقي يتحمل مسؤولية الكلام والفعل. يقول طه: "الحوار لا يكتمل إلا بتحقيق التكامل بين التبليغ والتدليل والتوجيه"²⁰.

خاتمة:

يمكننا أن نستنتج في الأخير أن النص الحجاجي ليس مجرد أداة بلاغية الغرض منها الإقناع، بل هو بنية معرفية وفكرية معقدة تتطلب فهماً دقيقاً لآلياته وضوابطه، وهو ما نستشفه في مشروع المفكر طه عبد الرحمن كنموذج تحليلي متميز. فقد أظهرت هذه الدراسة أن النص الحجاجي، في تصور فكر طه عبد الرحمن، يتجاوز التصور التقليدي للخطاب المنطقي أو الجدلي ليجعل منه عملية إبداعية تجمع بين العقل والقيم، وتعتمد على أسس معرفية وأخلاقية لها امتداد في التراث الإسلامي، وهذا لا يضره فتح قنوات حوار مع الحضارة الغربية، وعليه فالنص الحجاجي ليس مجرد وسيلة لتغليب الرأي أو الرد على الرأي، بل هو أفضل أداة للتفكير النقدي والإصلاح الفكري.

ويعتمد طه الحجاج كآلية لإقناع المتحاور والمتلقي بطريقة عقلية، وكذلك فهو يعتمد على الحوارية التي تكمن أهميتها في أنّ الحوار يعطي حقوقاً ويقرّ واجبات، وكذلك فإنّ من أهمية الحوار أنّه يعود بنا إلى الأصل، أي أنّ الحوار مع الآخر هو حوار مع الذات نفسها. ويكون الحجاج موفقاً بعدما يكون قد مرّ بعملية التحليل والتركيب والتمرس في صياغة المفاهيم، لقد أثبت طه عبد الرحمن من خلال توظيفه لمفاهيم مثل "البرهان الأخلاقي"

و"الحجاج التداولي" أنه استطاع خلق قفزة نوعية في الدراسات الحجاجية، فهو بهذا يكسر النظرية الكلاسيكية التي صنعت ثنائية رسختها في الأذهان تمثلت في العقلانية الغربية والروحانية الشرقية، ليعطي لنا نموذج يحمل توازن بين المنطق السوري والقيم الإنسانية ، لقد ركز طه عبد الرحمن في إنتاج النص الحجاجي على القيم الأخلاقية مثل الصدق والعدل والمسؤولية تجاه المتلقي، وهو دليل على كون مشروعه الفكري يحمل بُعد إنساني متميز ، هذا يجعل منه يستحق لقب الفيلسوف .

إن عملية تطوير النص الحجاجي من خلال نموذج طه عبد الرحمن تحتاج أسس تضمن أن يكون الحجاج أداة بناء تهدف إلى الحقيقة والإصلاح بدلاً من التلاعب أو الاستقطاب ،فالحاجة إلى خطاب حجاجي يستطيع مواجهة تحديات العولمة والتكنولوجيا والصراعات الثقافية تزداد يوماً بعد يوم. فأمام عالم فوضوي انتهازى تنهار فيه القيم بتسارع رهيب يكون تصور طه عبد الرحمن تصوراً ضرورياً يحمل مشروع واعد لإعادة صياغة النص الحجاج يساعد في صنع حوار حقيقي أساسه الاحترام والتفاهم بعيداً عن أي هيمنة أو إقصاء .

يعتبر طه عبد الرحمن النص الحجاج أداة متكاملة لتجديد الفكر وحياء التراث ومعالجة الإشكالات التي تواجهها الأمة ،وهذا بنقد الحداثة الغربية ،والعمل على تأسيس الأخلاق، من أجل حل التحديات المعاصرة، يسعى طه عبد الرحمن إلى تقديم نموذجاً متوازن يشمل بين التراث و الحداثة ، وعليه من أجل مواصلة المنهج الطهاوي يتوجب ما يلي :

- إعطاء أولوية للبحث في المنهج الحجاجي لطه عبد الرحمن .
- تدريس وتدريب الأفراد على الأخلاق الانتمانية باعتبارها أساساً للتغيير الاجتماعي.
- ترجمة أعمال طه إلى لغات عالمية لتعميم رؤيته.

في الأخير فالنص الحجاجي، كما يطرحه طه عبد الرحمن، ليس مجرد آلية خطابية، بل هو آلية لخلق توازن بين ما هو عقلي وروحي وبين الفرد والمجتمع، وبين التراث والحداثة، فما يقدمه طه عبد الرحمن في مجال المنطق والاستدلال لا يقتصر على تقديم أدوات تحليلية جديدة، بل يتعدى ذلك إلى فتح أفاق لإعادة التفكير في دور الحجاج كآلية للارتقاء بالفكر الإنساني وتعزيز قيم الحق والعدل .

¹ ابن منظور ، " لسان العرب " ، مادة حجج ، ص 570

² سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، د ط ، 1988 ، ص 12

³ خولة طالب الإبراهيمي ، قراءة في اللسانيات النصية ، مبادئ في اللسانيات النصية جان ميشال آدم ، اللغة والأدب ، الجزائر، ع 12 ديسمبر 1997 م ، ص 116 .

⁴ ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، بيروت ، ط 2 2000م، ص 89

⁵ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت-الدار البيضاء، 1998، ص 226

⁶ نفس المصدر ، نفس الصفحة

⁷ عبد القاهر الجرجاني ، الكافية في الجدل ، تقديم وتحقيق فوقيه محمد حسين ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة مصر ، 1979 ، ص 32

⁸ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مصدر سابق، ص 231

⁹ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2، الدار البيضاء ، المغرب، 2000، ص 45.

¹⁰ عبد الرحمن، روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2، الدار البيضاء ، المغرب، 2000، ص 112

¹¹ نفس المصدر ، ص 33

¹² نفس المصدر ، ص 78

¹³ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار ، مصدر سابق ، ص 67

¹⁴ طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2، الدار البيضاء ، المغرب 2000، ص 19

¹⁵ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق،، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000، ص 15

¹⁶ طه عبد الرحمن، دين الحياء، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2017، ج1، ص 23

¹⁷ نفس المصدر، ج2، ص 87

¹⁸ طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل،مصدر سابق، ص 45